مذكرة

على الأصول الثلاثة

كتبه

أبو حازم

محمد بن حسني القاهري السلفي

حقوق الطبع محفوظة

لا يجوز طبع الكتاب أو تصويره
إلا بإذن خاص من المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ:

«إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه».

متفق عليه(١).

قال المحدِّث الإمام عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أراد أن يصنف كتابًا؛ فليبدأ بحديث: «**الأعمال بالنيات**»(٢).

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبه صدَّر البخاري كتابه «الصحيح»، وأقامه مقام الخطبة له؛ إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله؛ فهو باطل، لا ثمرة له في الدنيا، ولا في الآخرة» اهـ(٣).

---

(١) رواه البخاري (١، ومواضع)، ومسلم (١٩٠٧) - واللفظ له -، كلاهما من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البيهقي في «الصغرى» (٣)، وغيره.

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص٩).

مُقَدِّمَة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فهذا مشروع «مذكرات المتون»، استخار العبد الفقير ربه في القيام به، سائلا إياه الإخلاص، والتوفيق، والنفع، والقبول.

*** التعريف بالمشروع:**

هو عبارة عن مذكرات توضع على المتون التي يشرحها العبد الفقير، وهي الموجودة -أصالة- في «البرنامج العلمي»[1]، وقد يُضم إليها غيرها، بحسب ما تظهر الحاجة إليه.

*** وصف المشروع:**

يقوم على تجريد المسائل العلمية التي اشتمل عليها المتن المعين، وترتيبها، وصياغتها بأسلوب مختصر سهل محرَّر.

فليست المذكرات -إذن- في صورة الشروح المعروفة للمتون، وإنما تؤخذ فيها المسائل -نفسها-، على الصورة التي ذكرتُها.

فمثلا: عندما توضع مذكرة على «الأصول الثلاثة»؛ فإنها تحتوي على المسائل التي وردت في هذا المتن: الأصل الأول كذا، وتحته مسائل: المسألة الأولى كذا، وتفصيلها كذا كذا؛ ولا يقال: قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذا، وشرح كلامه كذا؛ ثم تُستخلص المسائل بعد ذلك؛ فإن هذا إنما يحدث في الشرح الصوتي.

---

(١) البرنامج ينشر عبر قناة للشيخ أبي حازم على تطبيق تيليجرام، بعنوان: التأصيل العلمي (https://t.me/ScientificProgram).

*** الهدف من المشروع:**

تسهيل وتقريب المسائل العلمية لطالب العلم، بحيث يسهل عليه إتقانها، بل حفظها -إن شاء-؛ ويسهل عليه الرجوع إليها متى شاء.

وواضحٌ أن هذا عندما يكون في صورة، تُسرد فيها المسائل -مباشرة-، مع الاختصار، وسهولة العبارة؛ فإن هذا يكون أنفع -بكثير- للطالب، ويوفر عليه جهدا ووقتا كبيرا، في تفريغ الشرح الصوتي، وتمييز المسائل منه، ومحاولة اختصارها وجمعها؛ ومعلوم أن الهدف من دراسة المتون -أصالة- هو إتقان المسائل التي وردت فيها؛ فعندما يحصل عليها الطالب جاهزة ومحررة، ومن نفس الشيخ الذي شرح المتن؛ ففائدةُ هذا لا تخفى.

*** هل تغني المذكرات عن الاستماع للشروح الصوتية؟**

كلا؛ بل في كلٍّ منهما فائدة:

ففائدة الشرح الصوتي: فهم عبارات المتن، وفَكُّ ألفاظه؛ وفي ذلك فوائد وتنبيهات يحتاج إليها الطالب -بلا شك-.

وفائدة المذكرة: إتقان المسائل الواردة في المتن، على الوجه المبيَّن آنفًا.

*** الخطة العملية للمذكرات، والربط بينها وبين الشروح الصوتية:**

أما المتون التي سبق شرحها في المستوى الأول من البرنامج؛ فسوف تخرج المذكرات الخاصة بها تباعا -إن شاء الله-.

وأما المتون الجديدة؛ فسوف ينتهي شرحها الصوتي أولا -إن شاء الله-، ثم بعد ذلك تخرج المذكرات الخاصة بها -إن شاء الله-؛ أي: عندما ننتهي من المتن المعين؛ تخرج المذكرة الخاصة به.

وهـذا في المتـون الصـغيرة، وأمـا المتـون الطويلـة -وخصوصـا في الفقـه-؛ فسوف تخرج مـذكراتها في أثنـاء شـروحها -إن شـاء الله-؛ أي: عنـدما ننتهـي مـن الباب المعين، أو من عدة أبواب مناسبة؛ تخرج المذكرة.

فالتوجيـه -إذن- لإخـواني: ألا يتعبـوا أنفسـهم في تفريـغ الشـروح الجديـدة، وإنمـا يقتصـرون علـى تـدوين فوائـد أو مسـائل، بصـورة مختصـرة، علـى سـبيل المراجعة المتجددة -فقط- لكل درس جديد؛ وعنـدما تخـرج المـذكرات؛ تبـدأ المذاكرة الحقيقية.

وهذه باكورة هذا المشروع: مذكرة «الأصول الثلاثة»، للإمام محمد بـن عبـد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ والشرح الصوتي لها موجود ضمن البرنامج المحال عليه سلفا.

نسأل الله التوفيق، والاستعمال في الطاعة والخير، والإعانة على ذلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمات الكتاب

بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه بثلاث مقدمات،بغرض التمهيد للموضوع الأصلي، الذي صنف كتابه لأجله.

*** المقدمة الأولى:**

اشتملت على أربع مسائل، يجب على كل مسلم أن يتعلمها.

١- العلم:

والمراد به هنا: معرفة ثلاثة أشياء:

أ- معرفة الله ﷻ.

ب- معرفة نبيه ﷺ.

ج- معرفة دين الإسلام.

وهذه الثلاثة هي الأصول الثلاثة، التي لأجلها صُنِّف هذا الكتاب.

ومعرفة هذه الأشياء لا بد أن تكون مبنية على الأدلة الشرعية، في الكتاب والسنة، لا على الرأي والهوى.

٢- العمل:

والمراد به: العمل بما تقدم بيانه من العلم، فمعرفة الله، ونبيه، ودينه: كل ذلك يستوجب عملا بمقتضاه.

٣- الدعوة:

والمراد: الدعوة إلى ما تقدم بيانه من العلم، فمن عرف الله، ونبيه، ودينه؛ وجب عليه أن يدعو الناس إلى ذلك، ويبين لهم كيف يتعلمونه، ويعملون به.

٤- الصبر:

والمراد: الصبر على الأذى الذي يلقاه، عندما يتعلم ما سبق بيانه، ويعمل به، ويدعو إليه.

وذلك لأن الحق غريب، والناس -بطبيعتهم- يحبون الباطل، ويتعلقون به؛ فمن أتاهم ليصرفهم عنه، ويدعوهم إلى أمور يرونها باطلة، أو فيها مشقة عليهم، أو حرمان لهم من لذاتهم؛ فإنهم لا بد أن يؤذوه.

ودليل هذه المسائل الأربع: سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر].

وجه الدلالة: أن الله ﷻ بيَّن أن البشر كلهم في خسران، وأقسم على ذلك بآية من آياته، وهي: العصر، الذي هو الزمن؛ ثم استثنى من الخسران أربع طوائف، يمثلون المسائل الأربع التي ذكرناها:

١- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: هذا هو العلم، والإيمان هنا بمعنى العلم والاعتقاد؛ لأنه غاير بينه وبين العمل، وفي مثل هذا المقام: ينصرف الإيمان إلى الاعتقاد.

٢- ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: هذا هو العمل.

٣- ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾: هذه هي الدعوة.

٤- ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾: هذا هو الصبر.

فهذا الاستثناء من الرب ﷻ يدل على وجوب تعلم هذه المسائل الأربع؛ لأن ما كان مستثنى من الخسران؛ فقد وجب تعلمه على الإنسان.

وهذا الترتيب الذي ذكرناه لهذه المسائل: مقصود؛ فيجب تقديم العلم على ما سواه.

كما قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «باب: العلم قبل القول والعمل».

واستدل بقول الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم ﴿فَاعْلَمْ﴾ قبل القول ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ والعمل ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾.

*** المقدمة الثانية:**

اشتملت على ثلاث مسائل، يجب على كل مسلم أن يتعلمها، ويعمل بها.

١ - توحيد الربوبية:

وهو: إفراد الله بأفعاله التي تختص به، ولا يقدر عليها غيره؛ كالخلق، والرزق، والتدبير.

والغرض من ذكر هذه المسألة: التمهيد لتوحيد الألوهية؛ لما سيأتي بيانه من الصلة الوثيقة بينهما.

وقد ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تحت هذه المسألة: قضية الرسالة، والجزاء؛ أي: إن الله لمَّا خلق الخلق؛ لم يتركهم هكذا هَمَلًا؛ بل أرسل إليهم الرسل؛ فمن أطاعهم؛ دخل الجنة؛ ومن عصاهم دخل النار.

وهذا من مقتضيات ربوبيته؛ إذ لا يليق بحكمة الرب ﷻ أن يخلق الخلق، ثم يتركهم هكذا بدون فائدة، بل لا بد أن يكلفهم ويمتحنهم، ولا بد أن يكون هناك جزاء مترتب على ذلك.

والدليل على قضية الرسالة والجزاء: قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

٢- توحيد الألوهية:

وهو: إفراد الله بعبادات الخلق.

والعبادة: سيأتي بيان معناها، وبيان أنواع لها.

فكل ما تحقق فيه هذا المعنى؛ فهو عبادة، يجب صرفه لله وحده، لا لغيره من المخلوقات، وإن كان مَلَكًا مقربا، أو نبيا مرسَلًا.

والدليل على وجوب صرف العبادة لله وحده: قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

والمراد بالمساجد هنا: فيه قولان:

أ- أنها المواضع التي يُسجد فيها.

ب- أنها الأعضاء التي يُسجد بها.

وكل ذلك لله، أي: ملك له؛ فإذا كان الأمر كذلك؛ فلا تدعوا -أيها الناس- مع الله أحدا؛ لأن الدعاء عبادة، والعبادة إنما تكون لمن يملك هذه الأشياء.

فالآية فيها ربط بين توحيد الربوبية والألوهية؛ لأن الملك من معاني الربوبية، والعبادة لا تكون إلا لمن يتفرد بخصائص الربوبية، وهو الله ﷻ وحده.

وقد أكثر القرآن من الربط بين التوحيدين، والاحتجاج على المشركين بالربوبية؛ لأنهم لم يكونوا يخالفون فيها: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فإذا أقروا لله -وحده- بالربوبية؛ فقد لزمهم أن يفردوه -وحده- بالعبادة؛ لأن العبادة لا تكون إلا لمن خلق، ورزق، ودَبَّر.

فائدة:

التوحيد على ثلاثة أقسام:

أ- توحيد الربوبية: وقد ذكرناه.

ب- توحيد الألوهية: وهو توحيد العبادة، ويأتي بيانه.

ج- توحيد الأسماء الصفات: وهو الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته، من غير تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل.

وهذا القسم الثالث ليس من مقاصد هذا الكتاب؛ لأن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ اعتنى فيه بتوحيد العبادة، وذكر توحيد الربوبية لوثيق صلته به.

٣- الولاء والبراء:

والمراد به: أن يتولى الإنسان رب العزة، ودينه، ونبيه ﷺ؛ ويتبرأ من كل ما سوى ذلك من المعبودات والأديان الباطلة.

فمن وَحَّد الله، وأطاع رسوله ﷺ؛ لم يستقم أن يتولى أعداء الله والرسول ﷺ، وإن كانوا أقرب المقربين إليه.

والدليل: قوله ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقضية الولاء والبراء وثيقة الصلة بالتوحيد، بل هي من صلب معنى كلمة التوحيد، كما سيأتي بيانه -إن شاء الله-.

وهذه القضية هي -أيضا- مقتضى العقل والفطرة؛ فإن من آمن بشيء، واعتقد أنه هو الحق؛ فلا بد أن يتولاه -بالمحبة، والنصرة، والعمل، ونحو ذلك-، ويتبرأ من كل شيء وكل أحد يخالفه.

*** المقدمة الثالثة:**

اشتملت على بيان مسألة واحدة، وهي: **معنى الحنيفية**.

وذلك لأن الحنيفية هي ملة الخليل إبراهيم ﷺ، وقد أُمر النبي ﷺ باتباع ملتـــــه: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣].

وأصل معنى الحنيفية: الميل عن الشيء.

وحقيقتها شرعا: الميل عن الشرك إلى التوحيد.

وقد قال فيها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن تعبد الله وحده، مخلصا له الدين».

والإخلاص على قسمين:

١- **إخلاص ظاهر**: وهو صرف العبادة ظاهرا لله وحده، كالسجود له.

٢- **إخلاص باطن**: وهو صرف النية لله وحده، فلا يبتغي بالعبادة إلا وجه الله وحده.

وهذا المعنى الذي يدخل في شمولية العبادة: هو الذي لأجله خلق الله الخلق -من الأساس-.

والدليل: قوله ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الأصل الأول

معرفة الله ﷻ

وفيه مسائل:

*** المسألة الأولى: كيف نعرف ربنا؟**

يُعرف الرب ﷻ بآياته الكونية والشرعية.

فالآيات الكونية: هي المخلوقات، التي تدل على وجود الله ﷻ، وتعرِّف به معرفة إجمالية؛ إذ قاعدة العقل والفطرة:

«كل حادث لا بد له من مُحدِث، وكل مخلوق لا بد له من خالق».

وذلك لأن هذه المخلوقات التي وُجدت بعد أن لم تكن: لا يمكن أن تكون قد خلقت نفسها، ولا يمكن أن يكون قد خلقها غيرها من المخلوقات مثلها؛ فلا بد -إذن- أن يكون لها خالق، لم يُسبق بعدم؛ وهو الله ﷻ.

والآيات الشرعية: هي ما ينزله الله في دينه وشريعته، في كتبه، على أنبيائه ورسله؛ مما يُعرِّف الناس به ﷻ معرفة تفصيلية، في أسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه.

وقد استدل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأدلة:

١ - قول الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وجه الدلالة: أن الله هو رب العالمين، و«العالمين»: كل ما سوى الله من المخلوقات؛ إذن: فالمخلوقات لها رب وخالق، وهو الله ﷻ وحده، لا شريك له.

٢- قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

وجه الدلالة: أنه ذكر من الآيات الكونية التي تدل على وجوده: الليل، والنهار، والشمس، والقمر.

٣- قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وجه الدلالة: في ذكر بعض الآيات الكونية الدالة على وجوده الله ﷻ: خلق السموات والأرض والعرش، وتقليب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والنجوم؛ ثم التنصيص على انفراد الله ﷻ بالخلق والأمر، ثم التنصيص على أن الله هو رب العالمين.

ومن الأدلة المهمة في هذا الموضع: قوله ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

وجه الدلالة: أن البشر لم يُخلقوا من غير شيء، ولم يخلقوا أنفسهم، ولم يخلقوا السموات والأرض؛ فلم يبق إلا أن يكون لهم ولجميع الكون خالق عظيم، وهو الله ﷻ.

*** المسألة الثانية: العلاقة بين الربوبية والألوهية:**

هذا الرب ﷻ الذي عرفناه، واستدللنا على وجوده: هو الإله، الذي يستحق العبادة وحده؛ لما سبق من أن العبادة لا تكون إلا لمن خلق.

والأدلة السابقة واضحة في هذا المعنى.

ومنها -أيضا-: قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وجه الدلالة: أن المأمور بعبادته هو نفس الرب المتفرد بالخلق: الذي خلق البشر كلهم، وخلق السموات والأرض على تلك الطريقة البديعة، وبتلك الآيات الباهرة: من كون الأرض مستقرا للناس، والسماء فوقها كهيئة البناء والسقف، وينزِّل الله منها ماء، تنبت به الأرض رزق الكائنات؛ فإذا كان الأمر كذلك؛ لم يستقم أن نجعل لله شركاء في عبادته، كما أنه لا يستقيم أن نجعل له شركاء في ربوبيته.

*** المسألة الثالثة: بيان معنى العبادة:**

العبادة لغة: التذلل والخضوع، ومنه: «طريق مُعَبَّد»، أي: مُذَلَّل، يسهل السير عليه.

وشرعا: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فكل ما أحبه الله ورضيه من أقوال وأعمال القلوب والجوارح: فهو عبادة؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، وذكر الله، وقراءة القرآن؛ وسيأتي الكلام على أنواع من ذلك.

وكل ما تحقق فيه هذا المعنى؛ فقد وجب صرفه لله وحده، لا شريك له؛ وهذا هو معنى التوحيد -كما سبق-.

* **المسألة الرابعة: بيان معنى الشرك، وأقسامه:**

الشرك لغة: ضد التوحيد.

وشرعا: أن يُجعل لله نِدٌّ. أو: إثبات خصوصية الله ﷻ لغيره، سواء كان ذلك في الربوبية، أو الألوهية، أو الأسماء والصفات.

والشرك على قسمين:

١- **شرك أكبر:** وهو الذي يُخرج عن ملة الإسلام، مما ينطبق عليه المعنى السابق في تعريف الشرك؛ كعبادة غير الله.

٢- **شرك أصغر:** وهو الوسائل المؤدية إلى الشرك الأكبر. أو: هو ما أطلق عليه الشرع لفظ «الشرك»، ولا يُخرج عن ملة الإسلام؛ كالحلف بغير الله.

* **المسألة الخامسة: بيان معنى الكفر، وأقسامه، والفرق بينه وبين الشرك:**

الكفر لغة: التغطية والستر، ويقال للزارع «كافر»؛ لأنه يستر الحَبَّ ويغطيه.

وشرعا: ما يخالف معلوما من الدين بالضرورة، سواء كان ذلك في صورة الإنكار، أو غيره.

والكفر على قسمين:

١- **كفر أكبر:** وهو المخرج عن ملة الإسلام، مما ينطبق عليه المعنى السابق؛ كإنكار وجود الله ﷻ.

٢- **كفر أصغر:** وهو ما أطلق عليه الشرع لفظ «الكفر»، ولا يُخرج عن ملة الإسلام؛ كقتل المسلم.

والفرق بين الكفر والشرك: هو من حيث استعمال اللفظ -فقط-، وأما من حيث الحكم؛ فكل مشرك كافر، وكل كافر مشرك.

فمن عبد غير الله؛ كان الأنسب إطلاق لفظ «الشرك» عليه، وصَحَّ -أيضا- أن يسمى «كافرا»، من باب أنه ستر الحق، وباعتبار أنه خرج عن ملة الإسلام.

ومن أنكر معلوما من الدين بالضرورة؛ كان الأنسب إطلاق لفظ «الكفر» عليه، وصَحَّ -أيضا- أن يسمى «مشركا»، من باب أنه أطاع الشيطان، وجعله شريكا لله؛ وباعتبار أنه خرج عن ملة الإسلام.

*** المسألة السادسة: حكم من صرف العبادة لغير الله:**

هو مشرك شركا أكبر، وكافر كفرا أكبر؛ بإجماع علماء الإسلام.

والدليل: قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وجه الدلالة: أنه لما ذكر عبادة غير الله؛ عقبها بنفي الفلاح عن الكافرين؛ فدل على أن عبادة غير الله كفر، ومن خصال الكافرين.

دليل آخر: سنة النبي ﷺ، ودعوته المعلومة بالضرورة: أنه حكم على المشركين بالشرك والكفر الأكبر، وعاملهم بمقتضى ذلك؛ بسبب أنهم كانوا يصرفون العبادة لغير الله.

*** المسألة السابعة: بيان أنواع من العبادة:**

أولا: الدعاء:

دليل كونه عبادة:

١- قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، فسمى الدعاء عبادة.

٢- قوله ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١).

والدعاء -في أصله- هو: التوجه، والنداء، والطلب؛ وهو على قسمين:

١- **دعاء عبادة**: وهو التوجه إلى الله بالعبادة -عموما-، ولا يصح صرف شيء منه لغير الله -بحال-، فإن وقع؛ كان شركا أكبر.

٢- **دعاء مسألة**: وهو التوجه إلى الله بطلب شيء -عموما-.

وهذا المعنى -الذي هو الطلب- يجوز لغير الله، فيجوز لك أن تطلب من المخلوق ما تشاء، بثلاثة شروط:

أ- أن يكون حيًّا: فخرج الميت، والطلب منه: شرك أكبر.

ب- أن يكون حاضرا (سامعا لكلامك): فخرج الغائب، الذي لا يسمع؛ والطلب منه: شرك أكبر.

ج- أن يكون قادرا على فعل ما يُطلب منه: فخرج ما لا يقدر عليه إلا الله، كمغفرة الذنوب، وشفاء المرضى، وحَمْل المرأة؛ فإذا طُلب شيء من ذلك من غير الله؛ كان هذا شركا أكبر.

ثانيا: الخوف:

دليل كونه عبادة: قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وجه الدلالة: أنه أمر بخوفه وحده دون غيره، وجعله من الإيمان؛ فانطبق عليه تعريف العبادة السابق.

---

(١) رواه أهل السنن، وهو عند النسائي في «الكبرى»؛ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.
وهو عند الترمذي، من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظ: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»، وهو ما اعتمده المؤلف رحمه الله، وإسناده ضعيف.

والخوف: انفعال معروف، يشعر به الإنسان عندما يتوقع ما يؤذيه؛ وهو على ثلاثة أقسام:

١- **الخوف التعبدي**: وهو الخوف من شيء أن يضرك بمشيئته وقدرته -استقلالا بنفسه-، أي: يُعتقد فيه أنه يملك الضَّرَّ بنفسه، ويتصرف بهذا مستقلا عن كل أحد؛ فهذا المعنى ليس لأحد إلا الله، فمن خاف من غير الله هذا الخوف؛ فهذا شرك أكبر.

٢- **الخوف المحرم**: وهو الخوف الذي يدفع إلى معصية الله، بترك واجب، أو فعل محرم؛ كمن خاف من شخص، فسرق مالا، بدون إكراه شرعي معتبر؛ فهذا معصية، وليس شركا أكبر.

٣- **الخوف الطبيعي الجبلي**: وهو الخوف مما يؤذي الإنسان -عادة-، كالنار، والعدو، والحيوان المفترس؛ فهذا مباح، ولا يؤثر على التوحيد، وقد وقع من بعض الأنبياء: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

ثالثا: الرجاء:

دليل كونه عبادة: قوله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وجه الدلالة: أنه ذكر الرجاء في مقام المدح والثناء، وبيَّن السبيل الموصلة إليه؛ فانطبق عليه تعريف العبادة.

والرجاء: هو الطمع في أمر معين، سواء كان قريب المنال -وهو الأغلب-، أو بعيد المنال؛ وهو على ثلاثة أقسام:

١- **الرجاء التعبدي**: وهو الطمع فيما لا يقدر عليه إلا الله، كثوابه، ورحمته، وجنته؛ فمن رجا غير الله في شيء من ذلك؛ فهذا شرك أكبر.

٢- **الرجاء المحرم**: وهو الطمع في معصية الله مما دون الشرك، كالطمع في مال محرم، أو عرض محرم.

٣- **الرجاء الجائز**: وهو الطمع في ما ليس بمنهي عنه شرعا، سواء كان في أمر واجب، أو مستحب، أو مباح؛ كما يُرجى العلم من العالم؛ وفي هذا يقول النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ؛ وَشَرُّكُمْ مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ**»(١).

رابعا: التوكل:

دليل كونه عبادة:

١- قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣].

وجه الدلالة: أنه أمر بالتوكل عليه وحده، وجعله من الإيمان؛ فانطبق عليه تعريف العبادة.

٢- قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وجه الدلالة: أنه أثنى على من توكل عليه، وأخبر أنه يكفيه؛ فانطبق عليه تعريف العبادة.

والتوكل: هو الاعتماد على الله، مع الثقة به، والأخذ بالأسباب المشروعة.

والتوكل -كلفظ- لا يصح أن يُستعمل مع غير الله، ولو مع تأخيره عن الله؛ فلا يصح أن تقول: «أنا متوكل على الله، ثم فلان»، بل قل: «أنا معتمد على الله، ثم فلان».

ولهذا؛ سنتكلم على تقسيم الاعتماد، لا التوكل؛ وذلك في ثلاثة أقسام:

---

(١) رواه الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١- **الاعتماد التعبدي**: وهو السابق بيانه في تعريف التوكل.

فمن اعتمد على غير الله، بمعنى أنه يستقل بالتدبير والنفع والضر من دون الله، أو في أمور لا يقدر عليها إلا الله؛ فهذا شرك أكبر.

ومن اعتمد على غير الله، بمعنى أنه سبب؛ ولكن تعلق به، ونسي الله ﷻ؛ فهذا شرك أصغر.

٢- **الاعتماد المحرم**: وهو الاعتماد على الغير في معصية الله ﷻ، كمن اعتمد على شخص في سرقة.

٣- **الاعتماد الجائز**: وهو الاعتماد على الغير، فيما يقدر عليه، مما ليس بمعصية لله ﷻ، مع اعتقاد أنه سبب، لا يستقل بالتدبير من دون الله، ومع تعلق القلب بالله وحده؛ كما يُعتمد على المخلوق في قضاء مصلحة، بهذه القيود.

خامسا، وسادسا، وسابعا: الرغبة، والرهبة، والخشوع:

دليل كونها عبادة: قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وجه الدلالة: أنه امتدحهم بكونهم متصفين بهذه الصفات، متوجهين بها إليه ﷻ؛ فانطبق عليها تعريف العبادة.

والرغبة: قريبة من الرجاء. وقيل: هي محبة الوصول إلى الشيء الذي يريده الإنسان.

والرهبة: قريبة من الخوف. وقيل: هي الخوف الذي يؤدي إلى الهرب من الشيء المَخُوف.

والخشوع: هو الذل والخضوع.

فأما الرغبة، والرهبة؛ فالكلام عليهما كالكلام على الرجاء والخوف -سواء-.

وأما الخشوع؛ فإنه -كلفظ- لا يُستعمل مع غير الله، وإنما يُقسم باعتبار معنى الخضوع العام؛ تماما كالشأن في التوكل؛ وذلك على ثلاثة أقسام:

١- **الخضوع التعبدي**: وهو التذلل لله ﷻ تعظيما له وإجلالا؛ فمن صرف هذا المعنى لغير الله؛ فهذا شرك أكبر.

٢- **الخضوع المحرم**: كالتذلل للظالمين، ونحوهم من أهل المعصية؛ على معنى تملُّقهم، وطلب رضاهم، ونحو ذلك؛ من غير تعظيمهم كتعظيم الله ﷻ.

٣- **الخضوع الجائز**: وهو لين الجانب، والرفق، وحسن المعاملة؛ مع الوالدين، والزوج، ونحو ذلك.

ثامنا: الخشية:

دليل كونها عبادة: قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

وجه الدلالة: أنه أمر بخشيته وحده دون غيره؛ فانطبق عليها تعريف العبادة.

والخشية: هي الخوف المبني على العلم، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

والكلام على الخشية كالكلام على الخوف -تماما-.

تاسعا: الإنابة:

دليل كونها عبادة: قوله ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

وجه الدلالة: أنه أمر بها أن تُوَجَّه إليه؛ فانطبق عليها تعريف العبادة.

والإنابة: هي الرجوع إلى ﷻ بفعل طاعته، واجتناب معصيته؛ فهي قريبة من التوبة.

وهذا المعنى تعبدي خالص، لا يتصور صرفه لغير الله، وصرفه لغير الله شرك أكبر.

وأما مطلق الرجوع عن الشيء؛ ففيه تفصيل بحسب الشيء المرجوع عنه: فالرجوع عن الحرام: واجب؛ والرجوع عن الواجب: حرام؛ وهكذا؛ وما فيه من جانب التقرب والتدين: لا يصح صرفه لغير الله.

فائدة: في قوله ﷻ: ﴿وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾:

الإسلام على قسمين:

١- **إسلام كوني**: وهو الاستسلام لأحكام الله الكونية، مثل: الضر، والنفع، والإحياء، والإماتة؛ وليس هذا المعنى هو المقصود من الآية؛ لأن الناس مضطرون إليه، فلا يصح أن يُطلب منهم.

٢- **إسلام شرعي**: وهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية، بالدخول في دين الإسلام، والالتزام بأحكامه؛ وهذا هو المعنى المقصود من الآية.

عاشرا: الاستعانة:

دليل كونها عبادة:

١- قوله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [**الفاتحة: ٥**].

وجه الدلالة: أنه ذكر الاستعانة بصيغة التخصيص به ﷻ، أي: نستعين بك وحدك، لا نستعين بغيرك؛ فانطبق عليها معنى العبادة.

٢- قوله ﷺ: «**إِذَا اسْتَعَنْتَ؛ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(١).

وجه الدلالة: أنه أرشد إلى الاستعانة بالله وحده؛ فانطبق عليها معنى العبادة.

---

(١) رواه الترمذي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والاستعانة: هي طلب العون؛ وهي على ثلاثة أقسام:

١- **الاستعانة التعبدية**: وهي الاستعانة بالله، فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كالتوفيق، والهداية؛ فمن استعان بغير الله في شيء من ذلك؛ فهذا شرك أكبر.

٢- **الاستعانة المحرمة**: وهي الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه[١]، إذا كان فيه معصية لله ﷻ؛ كالاستعانة على الزنا، والسرقة.

٣- **الاستعانة الجائزة**: وهي الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه[٢]، إذا لم يكن فيه معصية لله ﷻ؛ كبناء بيت، أو إحضار مال مباح؛ وقد تكون الاستعانة واجبة، وقد تكون مستحبة.

حادي عشر: الاستعاذة:

دليل كونها عبادة: قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١].

وجه الدلالة: أنه أمر بالاستعاذة به وحده؛ فانطبق عليها معنى العبادة.

والاستعاذة: هي طلب اللجوء والحماية من المكروه.

والكلام عليها كالكلام على الاستعانة -سواء-.

فمثال الاستعاذة التعبدية: الاستعاذة من الشيطان.

ومثال الاستعاذة المحرمة: الاستعاذة بشخص للتحايل على العقوبات الشرعية.

ومثال الاستعاذة الجائزة: الاستعاذة بشخص من اللصوص.

---

(١) استحضر -أيضا- مسألة أن يكون حيا، حاضرا.

(٢) استحضر -أيضا- مسألة أن يكون حيا، حاضرا.

ثاني عشر: الاستغاثة:

دليل كونها عبادة: قوله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وجه الدلالة: أنه ذكر الاستغاثة به وحده، في مقام المدح والثناء على المؤمنين؛ فانطبق عليها معنى العبادة.

والاستغاثة: هي طلب النجدة والإنقاذ من المكروه.

والكلام عليها كالكلام على الاستعاذة -سواء-.

وقد وقعت الاستغاثة الجائزة بغير الله لنبي الله موسى -عليه السلام-: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ٢٦].

ثالث عشر: الذبح:

دليل كونه عبادة:

١- قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وجه الدلالة: في قوله: ﴿وَنُسُكِى﴾، والنسك هنا هو الذبح؛ فأمر الله ﷻ أن يكون له وحده، كالشأن في الصلاة؛ فانطبق عليه تعريف العبادة.

٢- قوله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»[1].

وجه الدلالة: أن الذبح لغير الله أمر يستوجب اللعن، وهو: الإبعاد من رحمة الله؛ فدل على أن ضده -وهو الذبح لله وحده- أمر يحبه الله ويرضاه؛ فانطبق عليه معنى العبادة.

والذبح: هو إزهاق الروح بإراقة الدم على صفة مخصوصة؛ وهو على ثلاثة أقسام:

---

(١) رواه مسلم، عن عليٍّ رضي الله عنه.

١- **الذبح التعبدي**: وهو إراقة الدم على وجه التعظيم والتقرب؛ فمن ذبح لغير الله على هذا الوجه؛ فهذا شرك أكبر.

٢- **الذبح المحرم**: وهو إراقة الدم في معصية الله، من غير تعظيم ولا تقرب لغير الله؛ كالذبح في المناسبات والاجتماعات المحرمة.

ومنه: الذبح البدعي، كما يعتقد الكثيرون عند شفاء المريض: أنه يجب عليه أن يذبح في مقابل الشفاء، وإن كان ذبحه لله ﷻ؛ وإنما الصواب: أنه إن أراد أن يذبح شكرا لله على نعمة الشفاء؛ فهذا جائز ومستحب؛ لكن لا على سبيل الوجوب، أو اعتقاد أنه مرتبط بالشفاء، بحيث يلزمه ذلك شرعا.

٣- **الذبح الجائز**: وهو إراقة الدم في غير معصية الله، ومن غير تقرب لغيره؛ كالذبح للأكل، ولإكرام الضيف؛ وقد يكون هذا الذبح واجبا، وقد يكون مستحبا.

رابع عشر: النذر:

دليل كونه عبادة: قوله ﷻ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧].

وجه الدلالة: أنه ذكر الوفاء بالنذر من صفات المؤمنين أهل الجنة؛ فانطبق عليه تعريف العبادة.

والنذر: هو إلزام المكلَّف نفسه بشيء غير واجب عليه -ابتداء-؛ على سبيل التقرب لله ﷻ.

والنذر -بهذا المعنى- عبادة خالصة، لا يتصور صرفه لغير الله، وصرفه لغير الله: شرك أكبر.

وأما مطلق الإلزام -أو الالتزام- بشيء معين، من غير تقرب؛ فعلى حسب الشيء الذي يُلزم به، فتجري عليه الأحكام التكليفية الخمسة.

والنذر التعبدي على قسمين:

١- **نذر التبرُّر**: وهو المعنى السابق بيانه في النذر، إذا فعله العبد ابتداء من تلقاء نفسه، لا في مقابل شيء معين؛ كقوله: «لله عليَّ صوم يوم».

وهذا هو النذر الذي يحبه الله، ويمتدح أهله.

٢- **نذر المشارطة**: وهو ما يفعله العبد في مقابل شيء معين يرجوه من الله، كقوله: «إن شفاني الله؛ فله عليَّ صوم يوم».

وهذا النوع نهى عنه النبي ﷺ، وقال: «**إِنَّهُ لاَ يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»[1]، أي: هذا النوع من النذر من شأن البخلاء؛ لأنهم لا يجودون بالشيء ابتداء، بل لا بد أن يكون في مقابله مصلحة لهم.

---

(١) متفق عليه، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الأصل الثاني

معرفة دين الإسلام

* **المسألة الأولى: تعريف الإسلام:**

الإسلام لغة: الاستسلام.

وشرعا: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

* **المسألة الثانية: مراتب دين الإسلام:**

هي ثلاث:

١- الإسلام.

٢- الإيمان.

٣- الإحسان.

والدليل: حديث جبريل -عليه السلام-، وقد ساقه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بطوله؛ عندما سأل النبيَّ ﷺ عن هذه المراتب الثلاث، وقال ﷺ: «**إِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١)؛ فبيَّن أن هذه المراتب هي الدين.

* **المسألة الثالثة: الكلام على مرتبة الإسلام:**

وذلك بالكلام على أركان الإسلام المذكورة في حديث النبي ﷺ:

«**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**»(٢).

---

(١) رواه مسلم، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كما وردت -أيضا- في حديث جبريل المذكور -آنفا-.

الركن الأول: الشهادتان:

دليل الشهادة الأولى من القرآن: قول الله ﷻ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ أي: علم بذلك، وأخبر به عباده، وأمرهم أن يحققوه.

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

وذلك أن هذه الجملة تتكون من شِقَّيْن: نفي، وإثبات.

النفي: «**لا إله**»؛ والإله: هو المعبود؛ و«لا»: نافية للجنس، لها اسم وخبر؛ فاسمها هو: «إله»، وقد عرفتَ معناه؛ وخبرها محذوف، تقديره: «بحق»؛ فمعنى هذا الشق -إذن-: لا يستحق العبادةَ أحدٌ.

والإثبات: «إلا الله»؛ وهو استثناء من العموم السابق في شق النفي؛ أي: لا يستحق العبادةَ أحدٌ إلا الله وحده.

وانتبه لأمرين مهمين في معنى كلمة التوحيد:

١- أن الإله هو المعبود؛ هذا هو المعروف في اللغة؛ ولا يصح تفسيره بالرب؛ لأن الكلمتين غير مترادفتين في اللغة، وقد سبق بيان معنى الربوبية المختلف عن معنى الألوهية؛ ولأن المشركين كانوا لا يخالفون في توحيد الربوبية -كما سبق التنويه به-.

٢- أن خبر «لا» يجب تقديره بالاستحقاق، فنقول: «لا إله بحقٍّ إلا الله»، أو «لا إله حقٌّ إلا الله»، أو نحو ذلك؛ لأننا لو قدرناه بالوجود؛ أي: «لا إله موجود إلا الله»؛ فهذا كلام يخالف الواقع؛ إذ هناك معبودات تُعبد في الواقع غير الله، وإنما هي معبودات باطلة، لا تستحق هذه العبادة، فكان يجب أن يكون المعنى

معبرا عن ذلك؛ كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقد استدل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بآيتين، فيهما بيان المعنى الذي ذكرناه لكلمة التوحيد:

١- قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

وجه الدلالة: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾، فهذا يساوي: «لا إله»، ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فهذا يساوي «إلا الله».

٢- قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وجه الدلالة: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، فهذا يساوي: «لا إله إلا الله».

دليل الشهادة الثانية من القرآن: قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومعناها:

١- طاعة الرسول ﷺ فيما أمر.

٢- تصديقه فيما أخبر.

٣- اجتناب ما عنه نهى وزجر.

٤- ألا يُعبد الله إلا بما شرع.

الركن الثاني، والثالث: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة:

دليلهما من القرآن: قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وفيه -أيضا- دليل على تفسير التوحيد: ﴿لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾.

الركن الرابع: صوم رمضان:

دليله من القرآن: قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

الركن الخامس: حج البيت:

دليله من القرآن: قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

والكلام على هذه الأركان الأربعة في مذكرة «الأربعون النووية» -إن شاء الله-.

*** المسألة الرابعة: الكلام على مرتبة الإيمان:**

الإيمان لغة: التصديق المستلزم للانقياد.

وشرعا: قول وعمل، يزيد وينقص.

وهذا هو التعريف الإجمالي للإيمان، وشرحُه في المذكرات المتعلقة بمتون السنة والاعتقاد -إن شاء الله-.

وقد عبر عنه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بالإشارة إلى حديث الشُّعَب المشهور:

«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ؛ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1].

---

(١) متفق عليه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ لمسلم.

والكلام هنا على التعريف التفصيلي للإيمان، بذكر أركانه الستة، التي وردت في حديث جبريل:

الركن الأول: الإيمان بالله:

وهو الإيمان بوجوده، وتوحيده بالأقسام الثلاثة التي سبق بيانها.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

وهو الإيمان بوجودهم، وأنهم من مخلوقات الله، خُلقوا من النور، ولهم أجنحة، وهم قائمون بطاعة الله، لا يعصونه؛ والإيمان بما ثبت من أسمائهم -كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل-، ووظائفهم، وأحوالهم.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

وهو الإيمان بأن الله أنزل كتبا على أنبيائه ورسله، فيها بيان تشريعاته وأحكامه؛ والإيمان بما سُمِّي منها -كالتوراة، والإنجيل، والقرآن-، وأنها أُنزلت على فلان وفلان من الأنبياء، وبما أعلمنا الله من أخبارها وأحكامها.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل:

وهو الإيمان بأن الله اصطفى من البشر أفضلهم، فأوحى إليهم، وأمرهم أن يبلغوا رسالته إلى الناس؛ والإيمان بمن سُمِّي منهم، ومن لم يُسَمَّ، وبجميع ما أخبرنا الله من شئونهم.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

وهو الإيمان بأن هناك يوما سيأتي، يبعث الله فيه الناس من قبورهم، ويحاسبهم على أعمالهم، ويجازيهم بها: المؤمنون في الجنة، والكافرون في النار؛ والإيمان بجميع التفاصيل المتعلقة بذلك اليوم.

الركن السادس: الإيمان بالقدر:

وهو الإيمان بأن كل شيء يقع في هذا الكون: يقع عن ترتيب محكم من الله ﷻ، قد علمه الله قبل أن يقع، وكتبه عنده في اللوح المحفوظ؛ والإيمان بأن كل هذه الحوادث واقعة بمشيئة الله: ما أحبه وأمر به، وما كرهه ونهى عنه؛ والإيمان بأن الله هو خالق أفعال العباد، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ولا يهدي إلا من يستحق الهداية، ولا يضل إلا من يستحق الضلالة.

والدليل من القرآن على أركان الإيمان: قوله ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

*** المسألة الخامسة: الكلام على مرتبة الإحسان:**

الإحسان لغة: الإتقان، والزيادة.

وشرعا: إتقان العبادة على وجهها الصحيح -كما أمر الله-، والزيادة في التقرب إلى الله بأنواع النوافل والتطوع.

والإحسان له ركن واحد، وهو: ما أجاب به النبي ﷺ جبريل -عليه السلام-: **أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك.**

فهذا المعنى هو الذي يؤدي -خاصة- إلى إتقان العمل، بمراعاة أركانه وشروطه، والقيام به على الوجه الصحيح الموافق للشرع، وتحقيق الإخلاص فيه، ونحو ذلك؛ وهو يدعو -أيضا- إلى الزيادة في التقرب إلى الله بالنوافل.

ودليل الإحسان من القرآن:

١- قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨].

٢- قوله ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

٣- قوله ﷻ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ ﴾ [يونس: ٦١].

الأصل الثالث

معرفة النبي ﷺ

* **المسألة الأولى: معرفة اسمه، ونسبه ﷺ:**

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-.

فائدة: هنا إشارة إلى فضيلة العرب؛ بناء على أن النبي ﷺ منهم، وهو أفضل البشر.

وهذا أمر صحيح، وهو من عقائد أهل السنة، يعتقدون فضيلة العرب -كجنس- على سائر الأجناس.

ويدل على هذا: حديث النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[1].

* **المسألة الثانية: معرفة عمره ﷺ:**

توفي ﷺ، وله من العمر ثلاث وستون سنة.

* **المسألة الثالثة: معرفة وظيفته ﷺ:**

قضى ﷺ من عمره أربعين عاما قبل النبوة، وثلاثا وعشرين نبيا ورسولا.

---

(١) رواه مسلم، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

ومدة الرسالة هذه على قسمين:

١- **العهد المكي**: وهو ما كان قبل هجرته ﷺ، ومدته ثلاث عشرة سنة.

٢- **العهد المدني**: وهو ما كان بعد هجرته ﷺ إلى المدينة، ومدته عشر سنوات.

* **المسألة الرابعة: معرفة نبوته، ورسالته ﷺ:**

حصلت له منزلة النبوة عندما نزل عليه قوله ﷻ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ...﴾ [العلق] الآيات.

وحصلت منزلة الرسالة عندما نزل عليه قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ ...﴾ [المدثر] الآيات.

الفرق بين النبي والرسول:

ظاهر كلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: أن النبوة تحصل بمجرد الوحي من الله ﷻ، والرسالة تحصل عندما يأمر ﷻ بالتبليغ.

وعلى هذا:

فالنبي: هو من أوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه.

والرسول: هو من أوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه.

إلا أن هذا التفريق يخالف ظاهر القرآن؛ فإنه يدل على أن النبي مأمور بالتبليغ، كما في قوله ﷻ: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦﴾ [الزخرف: ٦]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ...﴾ [الحج: ٥٢].

فالصواب -وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ-:

أن النبي: هو من بُعث إلى قوم موافقين له في أصل الدين والتوحيد؛ ليعلمهم بعض الأحكام.

والرسول: هو من بُعث إلى قوم مخالفين له في أصل الدين والتوحيد؛ ليدعوهم إلى التوحيد، وينهاهم عن الشرك.

* **المسألة الخامسة: معرفة موطنه، ومُهَاجَرِهِ ﷺ:**

بلده ﷺ: مكة، بها وُلد، ونشأ؛ حتى بعثه الله ﷻ، ثم وقع له ما وقع من الأذى.

ومُهَاجَرُهُ ﷺ؛ أي: الموضع الذي هاجر إليه: المدينة؛ عندما اشتد به الأذى -هو وأصحابه رضي الله عنهم-؛ أُمر بالهجرة إليها، وبقي فيها حتى توفاه الله ﷻ، وبها دُفن ﷺ.

التنبيه على مسألة المعراج:

بعدما أُوحي إليه ﷺ؛ مكث عشر سنين، ثم عُرج به إلى السماء، وفُرضت عليه الصلاة هناك.

وهذا من اعتقاد أهل السنة: يثبتون معراج النبي ﷺ إلى السماء، وأن ذلك وقع حقيقة، ببدنه ﷺ، حال اليقظة.

التنبيه على مسألة الهجرة -عموما- من بلد الشرك إلى بلد الإسلام:

الهجرة لغة: الانتقال، والترك.

وشرعا: ترك ما يبغضه الله ﷻ.

وهي على قسمين:

١- **هجرة قلبية**: وهي ترك الذنوب، شركا كانت، أو بدعة، أو معصية؛ كما قال النبي ﷺ: «**المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»(١).

(١) متفق عليه، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

٢- **هجرة بدنية**: وهي الانتقال من مكان المعصية -عموما- إلى مكان الطاعة، ومنه: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

وهذه الهجرة حكمها باق، لم تنته بهجرة النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة؛ فتجب الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، في كل زمان ومكان.

والدليل:

١- قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧]؛ نزلت في أناس كانوا بمكة، وكانوا قد تكلموا بالإسلام، وأحبوه؛ ولكن لم يهاجروا مع من هاجر؛ إرضاء لآبائهم؛ حتى أنهم خرجوا معهم في معركة بدر، وقاتلوا المسلمين معهم[(١)].

وجه الدلالة: أن الله ﷻ لم يعذرهم، فقال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾، ثم استثنى أهل العذر، فقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء: ٩٨]، وهم الذين لا يقدرون على الخروج من بلدهم -ولو بالحيلة-، وإذا خرجوا؛ فلا يعرفون الطريق الموصل إلى بلد الإسلام؛ فعلَّل ﷻ الحكم بعلة عامة، لا تختص بزمن النبي ﷺ.

٢- قوله ﷻ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

[العنكبوت: ٥٦]

وجه الدلالة: أن المسلم إذا استُضعف في بلد معين، ولم يستطع أن يقيم دينه فيه؛ فإنه يهاجر إلى غيره.

---

(١) رواه البخاري -بمعناه-، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٣- قوله ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ**»(١)؛ وهو نص واضح في استمرار الهجرة.

والهجرة تجب بشرطين:

١- **القدرة عليها**: بالبدن، والمال؛ فإن تخلف هذا الشرط؛ سقطت الهجرة -بالكلية-.

٢- **عدم القدرة على إقامة الفرائض في بلد الكفر**: فإن تخلف هذا الشرط؛ كانت الهجرة مستحبة -فقط-، لا واجبة؛ وقد لا تستحب -أصلا-، في حق الداعية الذي ينتفع به المسلمون في بلاد الكفر -مثلا-.

* **المسألة السادسة: معرفة دعوته ﷺ:**

أصل دعوته ﷺ: الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك.

وكان هذا هو الأمر الوحيد في الدين منذ بدء البعثة، حتى فُرضت الصلاة في ليلة المعراج، وبعدها تكامل نزول الفرائض؛ حتى استقر الدين وكَمُل بوفاة النبي ﷺ؛ وكان قد نزل قبيل وفاته ﷺ قولُ الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فائدة: هذا الموضع فيه تنبيه على الأصل العظيم من أصول الإسلام: **الاتباع، وترك الابتداع.**

فإن المسلم إذا علم أن الدين قد كمل؛ فعليه أن يتبع ما جاء فيه، ويتقيد به، فلا يزيد فيه شيئا من عنده -وهو معنى الابتداع-.

---

(١) رواه أحمد، بسند حسن، من حديث معاوية، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم؛ وهو عند أبي داود، والنسائي في «الكبرى»؛ من حديث معاوية رضي الله عنه وحده، بلفظ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»، وهو اللفظ الذي اعتمده المؤلف رحمه الله، وإسناده ضعيف.

* **المسألة السابعة: معرفة عموم بعثته ﷺ:**

وهو من أصول الإيمان به ﷺ، فيجب على كل مسلم أن يعتقد أن النبي ﷺ لم يُبعث إلى قومه -وحدهم-، أو إلى العرب -وحدهم-؛ بل هو مبعوث إلى جميع الإنس والجن، وواجب على الكل أن يتبعوه، ويدخلوا في دينه.

والدليل:

١- قول الله ﷻ: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾.

[الأعراف: ١٥٨]

٢- قول النبي ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي**»، فذكر منهن: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ -خَاصَّةً-، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ -عَامَّةً-**».

* **المسألة الثامنة: معرفة موته ﷺ:**

وهو أمر معروف ومحسوس، لا كلام فيه؛ فقد مات الرسول ﷺ، ولم يعد موجدوا بيننا.

وقد قال الله ﷻ: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾** ﴾ [الزمر: ٣٠]، فبين أنه ﷺ يجري عليه الموت -كسائر الخلق-.

ومع ظهور هذا الأمر؛ فلعل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصد من ذكره: الرد على من يعتقد من الجهال المخرِّفين أن النبي ﷺ لم يمت على الحقيقة! وأنه ﷺ حيٌّ في قبره كما كان حيا في الدنيا -تماما-!

وليس هذا هو المقصود من الحياة البرزخية التي تكون في القبر، وتفصيل هذا له موضع آخر.

خاتمة المتن

بعد الكلام على الأصل الثالث؛ أورد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عدة مسائل، تصلح أن تُعتبر خاتمة للكتاب.

*** المسألة الأولى: الإيمان بالموت:**

يجب الإيمان بأن الله كتب الفناء على جميع المخلوقات، إلا ما استثنى.

كما قال ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

والكلام على ذلك المستثنى -تفصيلا- له موضع آخر.

*** المسألة الثانية: الإيمان بالبعث:**

فالناس يُبعثون من قبورهم بعد موتهم، وقد سبق ذكر هذا في الإيمان باليوم الآخر.

قال ﷻ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾.

[نوح: ١٧-١٨]

ومن كذب بالبعث؛ كفر؛ وهذا معلوم من الدين بالضرورة؛ لأنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة، ومعلومٌ أن التكذيب بالبعث كان من أظهر معتقدات المشركين.

قال ﷻ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

*** المسألة الثالثة: الإيمان بالحساب والجزاء:**

وهو من الإيمان باليوم الآخر -أيضا-، فالناس يبعثون لأجل أن يُحاسَبوا على أعمالهم، ويُجْزَوْنَ بها، فالمطيع في الجنة، والعاصي في النار.

قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم: ٣١].

*** المسألة الرابعة: وحدة بعثة المرسلين، وقيام الحجة على الخلق بها:**

وهذا من الإيمان بالرسل: أن تؤمن أنهم -جميعا- متفقون في أصل دينهم، الذي هو: التوحيد؛ فكلهم بُعثوا داعين إليه، مُقَرِّرين له، مبشرين لمن أطاعهم بالجنة، ومنذرين لمن عصاهم بالنار؛ وبهذا قامت حجة الله على الخلق.

قال ﷻ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾.

[النساء: ١٦٥]

والرسل متفقون -أيضا- في الشرائع العامة، والأحكام الكلية؛ كالصلاة، والصوم، وتحريم القتل، والزنا، ونحو ذلك؛ كما في الآيات من سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١] والآيتان بعدها.

وإنما يختلفون في كيفيات بعض هذه الشرائع، ككيفية الصلاة، والصوم؛ وفي بعض الأحكام الجزئية الأخرى، كتحريم الشحوم على اليهود.

وكل أمة قد بعث الله فيها نبيا أو رسولا، بهذه الوظيفة العظيمة.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر: ٢٤].

*** المسألة الخامسة: معرفة أول رسول، وآخر رسول:**

أولهم: نوح -عليه السلام-.

والدليل: قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

وآخرهم: محمد ﷺ.

والدليل: قوله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ويجب اعتقاد هذا: أن النبوة قد خُتمت بمحمد ﷺ، فلا نبي بعده، وكل من ادعى النبوة بعده؛ فهو كذاب كافر؛ وكل من صدقه أو اتبعه؛ فهو كافر.

فائدة: وأما آدم -عليه السلام-؛ فهو أول الأنبياء، لا أول الرسل؛ وهذا يفيدنا فيما سبق من مسألة التفريق بين النبي والرسول؛ فإن آدم -عليه السلام- لم يُبعث إلى قوم مشركين، وإنما بُعث إلى أولاده الموحِّدين، يعلمهم أحكام دينهم.

*** المسألة السادسة: الكلام على الطاغوت، ووجوب الكفر به:**

هذا مما اتفق عليه المرسلون.

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾.

[النحل: ٣٦]

وقال ﷻ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والطاغوت لغة: صيغة مبالغة من «الطغيان»، وهو: مجازوة الحد.

وشرعا: ما تجاوز به العبدُ حدَّه، من معبود، أو متبوع، أو مطاع.

فالمعبود: كل ما عُبد من دون الله؛ وهو طاغوت؛ لأن حده ألا يكون معبودا، فإذا عُبد؛ فقد تجاوز حده.

والمتبوع: يُراد به هنا: العالم، إذا اتُّبع في خلاف حكم الله ﷻ؛ فمن قدم كلام العالم على الدليل الشرعي؛ فقد اتخذ هذا العالم طاغوتا.

والمطاع: يُراد به: الحاكم، إذا أُطيع في معصية الله ﷻ؛ فمن أطاع الحاكم في معصية الله؛ فقد اتخذه طاغوتا.

تنبيه: شرط إطلاق لفظ «الطاغوت» على الشخص: أن يكون راضيا بما يُفعل به أو معه.

فإن من الناس من يعبد أنبياء وصالحين، ولا يُطلق على أولئك الأنبياء والصالحين أنهم «طواغيت»؛ لأنهم لا يرضون بما يُصنع بهم.

ومن الناس من يقدم كلام العالم على الدليل الشرعي، ولا يُطلق على ذلك العالم أنه «طاغوت»؛ لأنه لا يرضى بذلك.

وأما الحاكم؛ فالغالب أنه عندما يأمر بمعصية الله يكون متبعا لهواه وشهوته، وإلا؛ فلو فُرض أنه كان جاهلا بالحكم، أو متأولا، على وجه يُعذر به؛ فإنه لا يسمى «طاغوتا».

تنبيه آخر: إطلاق لفظ «الطاغوت» لا يستلزم التكفير.

لأن معنى الكلمة: مجرد مجاوزة الحد، وليس كل من تجاوز حده كان كافرا، بل يُنظر في نوع ذلك التجاوز، فقد يكون كفرا، وقد يكون بدعة، وقد يكون معصية.

ويدل على ذلك أمران:

١- أن لفظ «الطاغوت» قد أُطلق في القرآن على الأصنام التي لا تعقل.

٢- أن العلماء أطلقوا لفظ «الطاغوت» على ألوان من العصاة، الذين لا يكفرون -بإجماع أهل السنة-، مثل: آكل الربا، والرشوة.

وهذا هو معنى قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: والطواغيت كثيرون، ورءوسهم خمسة:

١- إبليس -لعنه الله-: وواضح أنه رأس الطواغيت الأكبر.

٢- ومن عُبد وهو راض: كما سبق إيضاحه.

٣- ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه: وهو واضح -أيضا-.

٤- ومن ادعى شيئا من علم الغيب: لأن علم الغيب من خصوصيات الله ﷻ، ومن ادعاه لنفسه؛ فقد كفر، وكان طاغوتا؛ لأنه تجاوز حده.

٥- ومن حكم بغير ما أنزل الله: لأن هذا منه تجاوزٌ لحدِّه؛ فإن حده أن يتقيد ويلتزم بحكم الله ﷻ.

التفصيل في الحكم بغير ما أنزل الله:

أهل السنة متفقون على أن الحكم بغير ما أنزل الله من أكبر الكبائر، وليس كفرا مخرجا عن الملة في جميع الأحوال، بل فيه تفصيل:

فمن حكم بغير ما أنزل الله مستحلا لذلك -أي: معتقدا أنه يجوز له أن يخالف حكم الله-، أو جاحدا لحكم الله، أو مكذِّبا به، أو مستكبرا عليه، أو مستهزءا به، أو معتقدا أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، أو أنه مساوٍ له؛ فهذا كفر أكبر.

ومن حكم بغير ما أنزل الله لشهوة، أو هوى، أو محاباة، أو نحو ذلك؛ فهذا كفر أصغر، ولا يخرج عن الملة.

ومن حكم بغير ما أنزل الله مجتهدا، ظانا أن حكمه غير مخالف لشرع الله، وكان ممن يجوز له الاجتهاد؛ فهذا معذور، ولا شيء عليه -أصلا-، بل له أجر واحد على اجتهاده؛ وقد تقدم أنه لا يسمى «طاغوتا» -أصلا-.

فائدة:

الكفر بالطاغوت هو معنى «لا إله إلا الله»؛ لأن هذه الكلمة -كما سبق- نفي لاستحقاق العبادة عن كل ما سوى الله، وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت.

الفهرس

مقدمة..... ٤
مقدمات الكتاب..... ٧
الأصل الأول: معرفة الله ﷻ..... ١٣
الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام..... ٢٨
الأصل الثالث: معرفة النبي ﷺ..... ٣٥
خاتمة المتن..... ٤١
الفهرس..... ٤٧